عصر الخلافة الراشدة (١١ – ٤٠هـ)

أولاً: خلافة أبي بكر (١١ – ١٣ هـ)

الخلافة هي من الأنظمة التي استحدثت بعد وفاة الرسول الكريم (ص) وهي نيابة عنه (ص) في حفظ الدين وسياسة الدنيا، وعليه فإن الخلافة مؤسسة ذات طبيعة سياسية دينية تقوم على رأس الدولة والمؤسسات التي ساهم المسلمون في إيجادها لتدبير شؤونهم المختلفة، وقد قامت خلافة الراشدين على اساس الشورى والانتخاب.

وبعد وفاة الرسول (ص) مباشرة أتجه الأنصار (الأوس والخزرج) للاجتماع في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة للنبي من بينهم، إلا أن إسراع بعض المهاجرين إلى السقيفة وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح حال دون تحقيق رغبة الأنصار في الوصول إلى الخلاقة وقد تبودلت الخطب والمناقشات بين المهاجرين والأنصار وراح كل منهما يبين ما له من فضيلة في الإسلام وسابقة في الدين وأحقيته في خلافة الرسول الكريم (ص)

أما بنو هاشم فقد أيدوا الإمام علي بن أبي طالب لما يحمله من صفات عديدة ابتداء من حماية والده أبو طالب للرسول (ص) حين اضطهدته قريش وكونه ابن عم الرسول (ص) وزوج ابنته فاطمة الزهراء (ع)، وأخ النبي كهارون من موسى، وأول من أسلم، وأحاديث وأقوال الرسول (ص) بحقه في حادثة غدير خم، وكان لهذه الاعتبارات أكبر الأثر في تأييد بني هاشم له وترشيحهم إياه للخلافة، بحيث إن عمه العباس بن عبد المطلب اقبل عليه وقال له: ابسط يدك أبايعك، ولكن الإمام علي رفض ذلك لأنه كان

على يقين من إجماع المسلمين عليه بدليل انه قال لعمه العباس ومن يطلب هذا الأمر غيرنا ؟

وقد أبدى الأنصار تحكيم بالخلافة ودعوا إلى أن يكون منهم أمير ومن المهاجرين أمير، فرفض المهاجرون هذا الاقتراح ودعوا إلى مبايعة أبي بكر لسابقته في الإسلام ونصرته للرسول (ص) وبعض الصفات والمميزات الأخرى، ونهض عمر بن الخطاب وقال لأبي بكر ابسط يدك أبايعك فبايعه ثم قام بعده أبو عبيدة وبشير بن سعد وبايعه بالخلافة وتتابع بعدها المهاجرون والأنصار، وفي اليوم التالي بويع أبو بكر البيعة العامة في المسجد الجامع، فخطب في الناس خطبة قصيرة حدد فيها منهجه وسياسته في الحكم، فقال: (أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني، وأن اسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أخذ له حقه، والقوي ضعيف عندي حتى أخذ الحق منه إن شاء الله .... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم).

أما الإمام علي وبنو هاشم فقد اعتزلوا هذه المجادلات ولم يشتركوا فيها ولم يرضوا بما اتفق عليه المهاجرون الذين استخلفوا أبي بكر، فذكرت بعض الروايات أن الإمام على تأخر في مبايعة أبي بكر مدة من الزمن، ولكنه بايعه فيما بعد خوفاً على المسلمين من الفتنة والانشقاق. ومن أهم الأعمال التي قام بها الخليفة أبو بكر في خلافته فهي إنفاذ جيش حركة الردة، فالعمل الأول حرص أبو بكر على تنفيذ أمر رسول الله (ص) في إنقاذ جيش أسامة بن زيد إلى مشارف الشام وعلى الرغم من الظروف التي كانت تمر بها الخلافة آنذاك، وتهيأ جيش أسامة للحركة وخرج أبو بكر مودعاً المسلمين ماشياً في ركاب أسامة، وقد أحرز هذا الجيش النصر ودخل أراضي بلاد الشام وعاد بعدها إلى المدينة المنورة، لقد رأى أبو بكر في إرسال هذا الجيش تحقيقا لرغبة كان الرسول (ص) قد حاول تحقيقها في أيامه، ولكن المنية عاجلته، كما هدف الخليفة من

إرسال هذا الجيش إشعار القبائل العربية والروم البيزنطيين بقوة المسلمين وأنهم لم يضعفوا أو يتفرقوا بعد وفاة الرسول (ص).

اما حركة الردة فإن عدداً من المسلمين لم يصدق وفاة الرسول (ص)، وقد تمرد عدد من القبائل العربية على حكم أبي بكر بعد توليه الخلافة، واعتبرت أن ما كان يربطها بالإسلام قد انتهى بوفاة الرسول (ص)، ومعظم هؤلاء من الأعراب الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم والذين مست الشريعة الإسلامية أموالهم بالزكاة والصدقات، فقاموا بطرد عمال الصدقات للتخلص من دفع الزكاة هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن استقرار الخلافة في قريش قد أكد سيادتها على العرب في الجزيرة العربية وخارجها مما أثار غيرة القبائل العربية الأخرى ولاسيما عند أولئك الذين لم تزل العصبية الجاهلية تنبض في عروقهم، وقد لاحظت وفود المرتدين قلة عدد المقاتلين في المدينة بعد خروج جيش أسامة إلى الشام، ولم تمض ثلاث ليال حتى أغار المرتدون من غطفان وبني أسد على المدينة ليلا، فتصدى لهم المسلمون وأجبروهم على التراجع، ثم أمر الخليفة أبو بكر بمطاردتهم، فوزع البعوث وعقد الأولوية الأحد عشر أميرا، ومن أشهر أمراء البعوث الذين حاربوا المرتدين: خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنة، والعلاء بن الحضرمي والمهاجر بن أمية، وعمرو بن العاص، وخالد بن سعيد بن العاص، وقد أبلى المسلمون خلال تلك المعارك بلاء حسنا وتمكنوا من القضاء على حركة الردة في أقل من سنة، وكان خالد بن الوليد أكثر هؤلاء الأمراء قتالا، إذ قضى على طليحة وحلفائه من بني أسد وغطفان، كما انتصر على سلمى بنت مالك بن حذيفة ومن انضم إليها من طيء وسليم، كما انتصر خالد على مسيلمة الكذاب أكثر المرتدين خطراً على الدولة، أما في البحرين فقد نجح العلاء بن الحضرمي في هزيمة زعيم المرتدين فيها، وبهذا تم القضاء على أخطر حركة واجهت الدولة العربية الإسلامية بعد وفاة الرسول (ص).

حروب التحرير والفتوحات الإسلامية:

تمكن الخليفة الأول أبو بكر الصديق مبكراً في هزيمة المرتدين والقضاء عليهم في أمد قصير ، وأصبحت الخلاقة تمتلك جيوشاً مدربة وكاملة الاستعداد منحتها حروبها ضد المرتدين قدراً من التجربة والتمرس والواقع أن حركة التحرير التي خاض غمارها العرب المسلمون كانت امتدادا لنهج الرسول الكريم (ص) وتحقيقاً للأهداف التي رسمها لنشر الإسلام بين الناس كافة، وجاء ذلك في آيات قرآنية كريمة عديدة تدعو إلى نشر الدين الإسلامي وتدعو إلى الجهاد ونصرة الضعيف، وعليه فإن حركة التحرير كانت نابعة من عقيدة العرب ووجدانهم ومن إيمانهم بأنهم حملت رسالة سماوية تحمل السلام لكل الشعوب مستلهمين روح الرسالة وقيمها الإنسانية، وكل ما يقال عن العوامل الاقتصادية أو السياسية أو النفسية وغيرها لا يمكن اعتبارها إلا كعوامل رديفة لعبت دوراً مساعداً في تحقيق تلك الانجازات الكبرى.

ومن أولى الأمصار التي توجهت نحوها جيوش التحرير العربية القوية الإسلامية هو العراق، فبعد انتهاء خالد بن الوليد من حروبه مع المرتدين طلب إليه الخليفة أبو بكر الصديق التوجه والسير إلى العراق أو ما يعرف ان آنذاك باسم (ارض السواد) لكثرة زروعه ونخيله وأشجاره، وقد سهل فتوحات العراق وتحريره من السيطرة الفارسية وجود قبائل عربية فيه، وكان القائد المثنى بن حارثة الشيباني يقود حروب التحرير هناك قبل مجيء خالد بن الوليد، وهكذا استطاع هذان القائدان تحرير أجزاء كبيرة من العراق في عدة مواقع وحروب من أشهرها معركة (ذات السلاسل) بالقرب من مدينة (الأبلة) القريبة من مدينة البصرة، وصالحا خالد بن الوليد أهل مدينة الحيرة (عاصمة دولة المناذرة قرب مدينة الكوفة)، صالحهم على دفع الجزية، وحقق المسلمون بعد تحرير الحيرة وما حولها سلسلة من الانتصارات على الفرس في منطقة السواد والضفاف الغربية لنهر الفرات، واتصل ما بين بلاد الشام والعراق وبينما كان خالد في الحيرة

وصله كتاب الخليفة أبي بكر يأمره بالتوجه إلى الشام مددا للمسلمين في معركة اليرموك، وتمت اعمال خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة في تحرير العراق سنة ١٢هـ.

وحين تولى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الخلافة من بعد وفاة أبي بكر سنة ١٣ هـ بادر إلى توجيه الجيوش إلى العراق ولعل من أكبر المواجهات التي حدثت بين العرب المسلمين والفرس كانت (معركة القادسية) بقيادة سعد بن أبي وقاص وجيوش الفرس بقيادة رستم، وانتهت بانتصار المسلمين الكبير على الفرس في أواخر سنة ١٥هـ، وتتبعت قوات المسلمين تلك القوات إلى مدينة طيسفون (المدائن) عاصمة الدولة الساسانية ثم تركتها متجهة إلى جلولاء في شهر صفر سنة ١٦هـ، فتمكن القائد جرير بن عبد الله البجلي من الانتصار على الفرس في معركة جلولاء، ثم تمكن القائد النعمان بن مقرن المزني من الانتصار عليهم أيضا في معركة نهاوند (فتح الفتوح). بعدها أصبحت بلاد فارس مفتوحة أمام المسلمين بسبب سقوط دولتهم فاستكمل المسلمون فتح تلك البلاد ووصلوا إلى بلاد ما وراء النهر وبلاد السند.

أما بلاد الشام فقد استقطبت عناية واهتمام الخليفة أبو بكر، فقد حدث أول اشتباك بين المسلمين والروم البيزنطيين في عهد أبي بكر من خلال حروب الردة، وبعد دعوة الخليفة لتحرير الشام توافدت جموع المتطوعين على المدينة تلبية لنداء الخليفة فاستكملت حشودها في محرم سنة ١٣هـ، وعقد الألوية الأربعة من قادة المسلمين هم شرحبيل بـ بن حسنه ووجهته الأردن ، ويزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق، وأبي عبيدة الجراح إلى حمص وأيلة، وعمرو بن العاص إلى فلسطين، ومن أهم المواجهات التي تمت بين المسلمين والروم كانت في معركة أجنادين في جمادى الآخرة سنة ١٣هـ، وكان النصر حليف المسلمين، وبعد ذلك حدث اللقاء الحاسم بين المسلمين والروم في اليرموك وتولى خالد بن الوليد قيادة الجيش العربي الإسلامي فتمكنوا من هزيمة الروم شر هزيمة، وفي أثناء المعركة وصل خبر وفاة الخليفة أبو بكر وتولي الخليفة عمر

بن الخطاب الخلافة، وقد أخفى خالد خبر وفاة الخليفة على الجند لئلا يؤثر على معنوياتهم، وكان ذلك في أواسط سنة ١٣هـ وبعدها تمكن المسلمون من تحرير دمشق في شهر محرم سنة ١٤هـ، بعد ذلك تمكن المسلمون من تحرير مدن الشام الواحدة تلو الأخرى مثل بيسان وطبرية وحمص معرة النعمان وقنسرين وحلب، وزحف المسلمون بقيادة عمرو بن العاص نحو القدس، وتمت محاصرتها أربعة أشهر ثم وصل أبو عبيدة بن الجراح على رأس قواته فشدد المسلمون الحصار حول القدس، فاشترط أهلها على أبي عبيدة حضور الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه لتسليم المدينة ويوقع شروط الصلح معهم، فحضر عمر بن الخطاب إلى القدس في ربيع الثاني سنة ١٦هـ، ومنح أهلها الأمان وأعطاهم عهدا باحترام كنائسهم وأباح له حرية الديانة مقابل دفعهم الجزية. وتم للمسلمين بعد ذلك تحرير باقي مدن وسواحل الشام من قوات الروم، مثل صيدا وجبيل وبيروت وغيرها.

أما مصر فقد حرص المسلمون بعد استقرارهم في بلاد الشام على تأمين حدودهم الجنوبية الغربية فشرعوا بتحرير مصر من قبضة الروم، نظراً لما تتمتع به من موقع جغرافي مهم، فضلاً عن كونها البوابة نحو الشمال الأفريقي، كما أن تواجد الروم في مصر كان يشكل تهديداً خطيراً على أمن واستقرار الدولة العربية الإسلامية في الشام أو الحجاز، وقد انتهز عمرو بن العاص فرصة وجود الخليفة عمر بن الخطاب حينها في بلاد الشام خلال سنة ١٧ هـ، فعرض عليه موضوع تحرير مصر من الروم وأهمية ذلك للمسلمين واستحصل موافقة الخليفة على المسير نحو مصر على رأس جيش بلغ تعداده عدة آلاف، وكان أول موقع حرره عمرو بن العاص هو مدينة العريش، ثم واصل تقدمه نحو مصر، وكان في أثناء ذلك يواجه قوات الروم وحقق انتصارات عديدة عليها، ووصله المدد من الحجاز باثني عشر ألف مقاتل على رأسه عدد من الصحابة مثل الزبير بن العوام، والمقداد بن عمرو، وعبادة بن الصامت، وتحصن الروم في

حصن بابليون وشدد المسلمون حصارهم حول الحصن ثم تمكنوا من اقتحامه عنوة بعد حصار دام سبعة أشهر، وكتب عمرو من العاص كتاب الصلح الذي عُرف بـ(صلح بابليون) سنة ١٩هـ، تضمن الاعتراف بحكم المسلمين ودفع الأقباط (سكان مصر من النصارى) الجزية المسلمين على أن يبقوا على دينهم ثم واصل المسلمون تقدمهم نحو الاسكندرية التي تجمع فيها الروم بعد هزيمتهم ، وحاصرها المسلمون عدة شهر إلى أن تمكنوا من دخولها في أوائل سنة ٢٠ هـ.

ثم اتجه عمرو بن العاص بعد تحرير مصر إلى شمال أفريقيا من أجل القضاء على تجمعات وقواعد الروم، فحرر مدن برقة وطرابلس وفزان ومدناً أخرى، ثم عاد عمرو إلى مصر تاركاً عقبة بن نافع ببرقة يدعو الناس إلى الإسلام وأصبحت برقة فيما بعد قاعدة الجيوش المسلمين للانطلاق لفتح افريقية.